

حوار في مفهوم اللذة والسعادة والفضيلة

شخصيات المحاور:

سليمان

صونيا

تانيا

حسام

صونيا: دعوني وبحياء السيدة المتواضعة، أرحب بكم أصدقاء قدامى وجدوا في هذا الملتقى الأدبي الهادف الى جعل الإنسان أكثر معرفة ليغدو أكثر سعادة. فلقد آمنت دائما وناضلت دفاعا عن إيماني وسعيا لتوسيع مداه بأن المعرفة لا يمكن أن تكون إلا السعادة التي تثمر اللذة وأن الجهل هو مصدر الشقاء العظيم الذي يسود للأسف هذه البشرية النكداء ويثمر لها كل يوم مزيدا من الشقاء

تانيا: يسرني أن أسمع حوارا عن السعادة التي تثمر اللذة، فمنذ طفولتي المبكرة وأنا أخاف الألم ومازلت، حتى إنني ما فتئت أقع تحت كوابيس أحلام مريعة تصورني دائما إنسانة مريضة تتألم أو فقيرة مشردة تتألم أو مضطهدة مملوكة تتألم

حسام: أن تكون السعادة مقدمة واللذة نتيجة مقولة مثيرة ستجدون كل مشردي العالم مهووسة ومدمنة وإباحية يلتفون حولها ليشكلوا أكبر تجمع بشري عرفته الأجيال

سليمان: كلامك صحيح اذا ما فهمنا اللذة، شعورا بالمتعة يجتاح الإنسان للحظة ثم يولي الأدبار. تماما كما الشهب التي تلمع في ظلمة الليل لبضع ثوان ثم يبتلعها الظلام. أمّا اذا عمقنا في مفهوم اللذة لوجدنا الشيء يختلف لأن حدّ اللذة هو الحصول على ما لا يمل وهذا ما لا وجود له في عالم المحسوسات

تانيا: الكسول وحده يملّ أمّا صاحب العزيمة المتوثبة فالرغبة ما أن تموت في قلبه حتى تولد من رماها ثانية

سليمان: ولكن طبيعة اللذة الحسية أنها اذا وصلت الى تمامها تنقلب الى ضدّها أي الى ألم. وبالتالي تصبح هي والألم جسدين برأس واحد
تانيا: كيف يحصل ذلك، أنا لا أفهم كلمة واحدة مما تقول، هلا أعطيتني أمثلة محسوسة؟

سليمان: يسعدني ذلك.. أنت مثلا تحبين الرقص أليس كذلك؟

تانيا: أحبه وأمارسه ببراعة

سليمان: رأيك في إحدى السهرات ترقصين فملأني الشعور بالفرح كان شعرك يلمع ويتطاير ثم يتهدل بحنان. عيناك كانتا تشعان حتى أني آمنت

تلك الأمسية بأن النور ينبثق من أعماق العينين لا كما يقال الآن بأن العين مجرد مرآة تعكس النور الخارجي. ونهداك كانا يتأرجحان ففستان الديكولتية لم يكن يمارس عليهما أي كبت فكانا يجمحان كمهرين بريين لم تلامسهما يد أنسي من قبل. أما قدك فكان يتميل متكسرا ويدور ملتويا لقد شعرت آنذاك أنك حقا سعيدة بل تستطيعين إسعاد كل من ينظر إليك. ولكن أريد أن أسألك سؤالا. ألم تشعرى بالإرهاق بعد كل تلك الحركة الصاخبة؟

تانيا: بالطبع شعرت فأنا من لحم ودم ولست لعبة مبرمجة.

سليمان: وما تقولين عن هذا الإرهاق أليس نوعا من الألم؟

تانيا: لا أستطيع أن أنكر ذلك ولكنه ألم الى حين ثم أعود نشيطة كما كنت.

سليمان: ولماذا لا نقول أن اللذة إبان الرقص كانت لذة الى حين ثم تعودين ساكنة تطحنين ألم الفراغ تحت أسنانك؟

تانيا: مثلك ليس مقنعا بما فيه الكفاية فهل أعطيتنا مثلا آخر؟

سليمان: على الرحب والسعة.. سأسأل سؤالا للجميع. أليس تناول الطعام الجيد النوعية والتصنيع لذة؟

صونيا: بل هو سيد اللذات على الإطلاق.

سليمان: ولو أكلنا المزيد والمزيد من الطعام الجيد هل نحصل على المزيد والمزيد من اللذة؟

صونيا: أظن ذلك.

سليمان: ولكن أئن نصل الى وقت تكون الكمية التي إتهمناها قد زادت عن قدرتنا الى الهضم وعندها نشعر بالألم الذي يمكن أن يكون حادا حتى يغدو مرضا بل موتا محققا.

صونيا: أعرف الكثير من الأخبار التي تقول أن أناسا أصيبوا بعسر هضم مؤلم نتيجة تناولهم الطعام بشراسة، الأمر الذي استدعى نقلهم الى المستشفى.

سليمان: لنفترض إفتراضا آخر. هناك رجل يأكل ويتلذذ بما يأكل ولا يفتأ يأكل دون أن يصاب بعسر هضم فهل يعني هذا بأنه لا يتألم؟

صونيا: حبذا وجود هذا الشخص لكان أسعد الناس طرا أجمعين.

سليمان: ولكني أخالفك الرأي فهو إن لم يتألم من عسر الهضم والمرض سيتألم من شيء آخر. فكثره الطعام ستقوده الى الإكتناز باللحم والشحم الأمر الذي سيجعله يتدور ويتكور

حسام: وعندها لنتخيله واقفا أمام المراة بهذا الشحم واللحم أن يتألم اذا رأى كيف حالت به الحال؟

سليمان: بل أن يتألم اذا أصبح محط أنظار الناس حتى ليشيروا إليه بالأصابع.. أنظروا الرجل المربع الذي نحسب عرضه طولاً.. فلذة الطعام إذن لذة وهمية لأنها سرعان ما تنقلب الى ضدها

تانيا: أفهم من ذلك أن كل اللذات الحسية لذات وهمية رغم أننا نتذوقها بكل جوارحنا وتسعدنا للحظات معدودة ولكن ألا يحق لنا أن نسأل ألا يوجد لذات حقيقية لا تنقلب على نفسها مهما غالينا في طلبها ولا تثمر ألماً؟
صونيا: حتما يوجد مثل هذه اللذات فاقتناء المجوهرات الثمينة مثلا لذة لا تنقلب على نفسها

حسام: ومن قال لك ذلك ألا تصابين بالقلق اذا ما كان في حوزتك كمية كبيرة من المجوهرات، فأنت تخافين أن تسرق منك بل تخافين أن يتعدى أحد على شخصك من أجل انتزاع تلك المجوهرات اذا كنت متزينة بها.
صونيا: ولكني سأحفظها في صندوق أمانة في البنك

حسام: ما هي الغاية من حيازة المجوهرات؟ بالطبع التزين بها والتبرج. والتزين بالمجوهرات يولد خوف التعدي على الشخص المتزين بغية سرقة المجوهرات. ومنع السرقة يتطلب إجراءات أمنية الأمر الذي سيحد من حرية صاحب العلاقة. والحد من الحرية يولد ألماً. والقلق يولد ألماً وفقدان شيء ثمين نملكه يولد ألماً. إذن إقتناء المجوهرات لا يمكن أن يكون لذة حقيقية فهو شأن لذة الأكل والرقص لذة وهمية

صونيا: اللذة الحقيقية كما قلت في بداية كلامي هي المعرفة لأنها اللذة التي لا تنقلب على نفسها ويولد منها ضدها. دلني على شخص واحد إلتهم المزيد والمزيد من المعرفة وأصيب بعسر هضم عقلي. بل دلني على رجل واحد يملك المعرفة ويخاف أن تسرق منه فيحفظ معرفته في صندوق أمانات في البنك؟

تانيا: كلام صونيا يذكرني ببيتين من الشعر كان المرحوم جدي ينشدهما
بخيلاء وكأنهما يمثلان واقع حاله
علمي معي كيفما يمت يتبعني
قلبي وعاء له لا بطنُ صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي
كنت في السوق كان أو

العلم في السوق

حسام: أظن كلمة معرفة كلمة عامة وضبابية ينقصها التحديد فهل المعرفة
واحدة أم هي متعددة بتعدد الأشياء والمواضيع التي تتناولها؟
تانيا: من البديهي أن نقول إن لكل شيء معرفة خاصة به. فمعرفة
الرسام بمزج الألوان تختلف عن معرفة البنّاء بتشذيب الحجارة
حسام: بل دعونا نسأل هل للمعرفة غاية أم هي بحد ذاتها غاية؟
صونيا: برأيي وكما قلت سابقا ولا زلت مؤمنة بقولي ومصرة عليه غاية
المعرفة السعادة التي تثمر اللذة

سليمان: هل أفهم من ذلك أن المعرفة لا تطلب لذاتها بل تطلب لغيرها. أي
السعادة واللذة تماما كما نقول نحن لا نطلب المال لذاته بل لغيره كأن
نطلبه لنشتري به بيتا أو سيارة أو ثيابا أو نهرقه بين أندية الراقصات أو
تحت صدورهن كما يفعل بعض وجهاننا أمراء الذهب الأسود والتجارة
السوداء

صونيا: أنا لا أقول أن المعرفة تطلب لغيرها أي لتحقيق السعادة لأن
المعرفة هي السعادة بحد ذاتها

حسام: ولكني لا أفهم ماذا تقصدان بالمعرفة. هل المعرفة هي المعلومات
المتعلقة بشيء ما له وجوده المادي؟

سليمان: إذا قلنا أن هناك حقيقة جوهرية بدونها لا يكون الشيء هو ذاته
وهناك حقائق عرضية بدونها يستطيع الشيء أن يكون هو ذاته فهل
المعرفة هي الحقيقة الجوهرية أم كل الحقائق؟

صونيا: معلوماتي عن الجواهر والأعراض ليست دقيقة ولكني أظن أن
عصرنا هو عصر ثورة في عالم المعرفة

سليمان: أفهم من ذلك أن حصولنا على المزيد من المعلومات المتعلقة بشيء ما له وجود مادي يعتبر برأيك معرفة؟

صونيا: هذا طبيعي فعلما بمزيد من المعلومات المتعلقة بمرض السيدا مثلا ألا يعتبر معرفة؟

حسام: إني أعتقد أن الإنسان وحده في هذا الوجود يعتبر قيمة ذاتية وما عداه يخضع لحاجته ورغباته.

صونيا: ما هذه السفسطة العجيبة هل دوران الأفلاك وتشكل الكواكب التي لا زالت في مرحلة السديمية يخضع لحاجات الإنسان ورغباته؟

حسام: إني أعتقد وإن كان البرهان يعوزني بأن الكون بجميع جزئياته يخدم الإنسان لأنه المخلوق الوحيد الذي يملك نعمة العقل هذه الهبة الإلهية الخالدة. فمن المنطقي والطبيعي أن يكون غير العاقل في خدمة العاقل والمركب الفاني في خدمة البسيط الخالد. ولكني لا أريد أن أدخل معكم في جدل بيزنطي حول الأفلاك والكواكب وإن كانت في خدمة الإنسان أم لا. بل أقول إن القوانين والعلوم والأديان كلها في خدمة الإنسان بل هي وليدة حاجات الإنسان وميوله.

سليمان: معنى ذلك أنه عندما تتغير حاجات الإنسان وتبدل ميوله تتغير القوانين وتبدل العلوم والأديان.

حسام: أليس هذا بالضبط ما يحصل على أرض الواقع؟

سليمان: الحقيقة الجوهرية يا صديقي لا تتغير بتغير الزمان والمكان. الذي يتبدل ويتغير هو الحقائق العرضية وتغيرها هو تمظهرها بأشكال جديدة حسب الرغبات. فإذا قلنا مثلا الإنسان حيوان عاقل فحقيقة كون الإنسان عاقلا لا تتغير بتغير الزمان والمكان فلا يمكن أن يوجد زمان يكون فيه الإنسان غير عاقل لأنه عندئذ يفقد هويته الأساسية كونه إنسانا. ولكن إذا قلنا الإنسان حيوان راقص فحقيقة الرقص تتغير أوضاعها بتغير الزمان والمكان وتبدل أشكالها ويمكن ان يمتنع الإنسان عن الرقص جملة وتفصيلا.

حسام: كلامك هذا يجعل الحقيقة مستقلة تماما عن الإنسان وكأنها موجودة منذ الأزل حتى قبل أن يوجد الكون والإنسان.

سليمان: بل أقول أن الحقيقة الجوهرية منفردة في جوهر النفس الإنسانية العاقلة منذ فاضت هذه النفس عن أصلها العقل الكلي الذي فاض بدوره عن الله والذي يستقبل باستمرارية لا ينقطع النور الشعشعاني الفيضي عن الله ويبثه باستمرارية لا تنقطع أيضا للنفوس التي صقلت جيدا وتطهرت من رجس شهواتها بظلمة الكثيف فيها فأصبحت كالماس الصافي صونيا: ألا تعتقد نفسك بهذا التنظير أقرب الى العصور الوسطى منك الى العصر الحديث. أليس الإنسان العاقل الشجاع الذي يعتبر مثلا أعلى للعصر الحديث هو ذلك الذي يسمح لطموحاته أن تكبر الى أقصى حد وأن لا يكبحها بل أن يكون شجاعا يمدها بكل شيء ويحقق كل ما تشاقه وتتصدى اليه. أليس هذا هو العدل الطبيعي؟

سليمان: وإذا كانت طموحات ذلك الشخص تقضي بأن يبني إمبراطورية ويحتكر مال العالم ويتحكم بجميع وسائل الإنتاج حتى يغدو البشر عبيدا. أيجب أن يسمح لنفسه بذلك أو أن يسمح له الآخرون؟

صونيا: الضعفاء دائما يلومون الرجل القوي لأنهم يستحون بضعفهم ومن دناءة والجموح جنون والطموح تهور. إنهم هنا يقولون ان الإفراط يحاولون كبح الطباع النبيلة في الإنسان المتفوق بقوانين وضعية تعكس وضاعة نفوسهم وتخاذلها. لقد عرفت في حياتي كثيرا من هؤلاء المحبطين الخائعين العاجزين نتيجة جنهم وترددهم عن إشباع كامل للذاتهم فوجدتهم يمدحون العفة والقناعة والإعتدال

تانيا: يا إلهي، لقد تحولت اليمامة الى صقر. بربك هل تعنين ما تقولين؟ ألا تعتبرين العفة فضيلة والأعتدال فضيلة؟

صونيا: إنني أؤكد بالفم الملآن أن الترف والأفراط وإشباع الرغبات الى أقصى حد إذا ما تجهزت الوسائل النفسية والخارجية هي الفضيلة والسعادة. هذه حقيقة لا مرأى فيها وكل ما تبقى فمجرد ألعاب صبيانية. وأقوال أناس محبطين مشوهين أسقطتهم الطبيعة إسقاطا ولذلك دينهم مدى الحياة مناقضة الطبيعة

تانيا: هل معنى ذلك أنك تربطين الخير بالشجاعة والإقدام والشر بالجبن والإحباط؟

صونيا: لا شك أن الشجعان والعقلاء هم أخيار بالتأكيد والأغبياء والجبناء هم الأشرار. والأخيار يعيشون غبطة الفرح واللذة، والأشرار يلزمهم الحزن والألم.

سليمان: لقد تشعب الحوار، دعونا نعود الى بعض التحديدات، لقد قالت صونيا إن العلم والمعرفة غايتهما السعادة وثمرتهما اللذة، والجهل والغباء غايتهما التعاسة وثمرتهما الألم أليس كذلك؟

صونيا: هذا ما قلته وما زلت أقوله.

سليمان: ثم عمقت الموضوع أكثر فقلت بما معناه إن السعادة هي الحقيقة بل إن اللذة هي الحقيقة.

صونيا: بالطبع السعادة واللذة هما الحقيقة حسب الطبيعة لا حسب التقاليد والقوانين الوضعية والفن المصنوع.

سليمان: أريد هنا أن أسأل سؤالاً تطبيقياً لو قلنا ما هي حقيقة علم الطب وغايته أأن حصل على جواب بأنه صحة الجسد؟

تانيا: بالطبع لأنك تقيس الماء بالماء.

سليمان: وغاية علم الموسيقى والفلسفة أليس صحة النفس؟

صونيا: لنسلم بذلك رغم غموض السؤال.

سليمان: وصحة النفس برأيكم تخالف صحة الجسد أم توافقها؟

حسام: بالطبع توافقها، هل تريد أن تعيدنا الى ذلك التنظير المهترى الذي يقول أن النفس قبس من نور الله والجسد قطعة من رجز الشيطان بالتالي ما يوافق الجسد لا يوافق النفس وما يوافق النفس لا يوافق الجسد.

سليمان: إنني أوافقك تماماً على رأيك بأن صحة النفس توافق صحة الجسد ولكن لنسأل أنفسنا ما هو القاسم المشترك الذي يوفق بين صحة النفس وصحة الجسد.

صونيا: أجبني أولاً كيف تعرف صحة الجسد وكيف تعرف صحة النفس. لأقول لك ما هو القاسم بين الاثنين.

حسام: تعريف صحة الجسد أمر هيّن لا يحتاج الى كبير العناء. إذا كانت الأعضاء التي يتركب منها الجسد وكذلك العناصر متناسقة متناغمة

متناسبة كان الجسد صحيحا وجميلا واذا حاولت بعض الأعضاء والعناصر أن تكبر على حساب البعض الآخر أو أن تفرط في تحقيق ذاتها على حساب الأعضاء الباقية حصل الخلل الذي يقود الى الفوضى التي تنتج المرض والألم والقبح.

سليمان: تعريف رائع،التناسق إذن بين الأعضاء والعناصر تعطي الجسد صحته وسعادته وجماله ولكن هب أن رجلا أكل كثيرا فأعطى المعدة والأمعاء أكبر لذة ممكنة ولم يمارس الرياضة فماذا يكون قد فعل؟
صونيا: بالطبع يكون قد أخلّ بمبدأ التوازن بين الأعضاء فأصبحت متنافرة شكلا ومضمونا.

سليمان: والتنافر ماذا سيثمر أليس القبح والألم والمرض.
صونيا: طبعا.

سليمان: وعندما يقع المرض أئن نعالجه بالأدوية المرّة والصيام الكلي أو الجزئي والحقن.
صونيا: بالطبع سنفعل ذلك.

سليمان: ولكن الدواء المر والصيام ألم وليس لذة. فنحن إذن عالجنّا الخطأ بعمل مؤلم كي نعيده الى حقيقته السعيدة.
حسام: معنى ذلك أن الألم قد أنتج سعادة وأوصل الى المعرفة الحقيقية وليس اللذة.

سليمان: ألم نقل سابقا بأن وجبات الطعام ذات النوعية الجيدة والتصنيع الجيد تعطي اللذة ولكن الإفراط ينتهي بفقد الجسد جماله.
صونيا: هذا طبيعي.

سليمان: ونحن نعلم علم اليقين أن جمال الجسد منوط الى علم الرياضة وفن الرياضة ذو شقين التدريب الشاق المؤلم حسب برنامج تجريبي أثبت صحته وحرمان المتدرب من تناول الكثير من الأطباق اللذيذة والمضرة.

صونيا: هذا كلام مفهوم.

سليمان: وهذا التدريب الرياضي يعطي الجسد جماله لأنه يجعل الأعضاء متناسقة متناغمة وكل عضو فيها منسجما مع حقيقته الذاتية. والجمال

يجعلنا نشعر بغبطة الفرح فنتلذذه ونسعد به. والقبح الذي يشكله تنافر الأعضاء يجعلنا نعاني الإحساس بالذنب وعدم وتبكييت الضمير وهذا إحساس مؤلم وتعييس. معنى ذلك أن ألم التعب والحرمان أوصلانا الى حقيقة الجمال ولذة السعادة والإهمال والراحة والشراهة أوصلانا الى الأوهام المؤلمة التعيسة

تانيا: ولكن ما دخل القاسم المشترك بين جمال النفس وجمال الجسد في هذا الكلام؟

سليمان: القاسم المشترك الذي يعطي الجسد سعادة الجمال هو التوازن بين متناقضات كلذة الطعام واللذة الجنسية ولذة النوم ولذة الشراب. فلذة الأكل مثلا تهيج لذة الشرب ولذة الشرب تهيج لذة النوم ولذة النوم تهيج لذة الجنس ولكن لذة الجنس تتعب الجسد فيضعف ويطلب لذة الراحة والترهل التي تفقد الجسد نشاطه وجمال شكله المبني على الحركة والإقتصاد في لذة الأكل، وعندما يضعف الجسد تفتر شهيته الى الطعام وسائر اللذات، ويفقد جماله فتنقلب اللذة الى ألم. لذا نقول إن سعادة الجسد مبنية على التوازن ضمن سلم أولويات تتصدرها الصحة والتي هي إزالة الفضلات. والجمال الذي هو بدوره إزالة الفضلات فإذا ما كان الطعام والشراب يعطيان الفضلات فسعادة الجسد ولذته تكون في لجم لذتي الأكل والشرب. وليس في إشباعهما بإفراط

تانيا: كلام سليم ومنطقي ولكن لم أفهم بعد ما هو القاسم المشترك بين جمال النفس وجمال الجسد.

صونيا: عندما عرفت الصحة الجسدية بأنها إزالة الفضلات من الجسد وعرفت الجمال الجسدي بأنه إزالة الفضلات جعلت الصحة والجمال كلمتين لحقيقة واحدة، فهل باستطاعتنا أن نقول، كل جسم صحيح جميل وكل جسم جميل صحيح؟

سليمان: الجمال والصحة جدولان يصبان في نهر واحد هو الحقيقة، ولكن الجمال هو تآلف الأعضاء من حيث شكلها الخارجي بينما الصحة هي تآلف الأعضاء والعناصر من حيث مسلكها العملي. تانيا: ولكنك لم تقل شيئا عن جمال النفس

سليمان: جمال النفس بدوره هو تآلف وتناسق بين قواها المتعددة فهناك القوة العاقلة والقوة العاطفية وقوة الشهوة. في البدء نقول أن لكل قوة من هذه القوى جمالها وفضيلتها فجمال قوة الشهوة هو في عفتها وخضوعها طوعا باختيار ذاتي لقوة العاطفة. وجمال قوة العاطفة وفضيلتها هو في شجاعتها وكرمها وخضوعها طوعا وباختيار ذاتي أيضا للقوة العاقلة. وجمال القوة العاقلة وفضيلتها هو في حكمتها وعدالتها وقدرتها على إدراك الحقائق الكلية المجردة والثابتة في أزليتها وسحب مبادئها على الجزئيات المحسوسة المتغيرة باستمرار ثم إتصالها بالعقل الكلي ونقل حقائقه الفيضية حدسا وتعقلا فتكون منه بمنزلة الناظر الى نفسه في المرآة.

صونيا: ولكن كيف تخضع القوة الشهوانية للقوة العاطفية طوعا واختيارا ونحن نعلم عن طريق الوعاظ ومعلمي الأخلاق أن العقل يجب أن يقمع القوة الشهوانية ويكبتها ويأخذها بقبضة من فولاذ؟

سليمان: الكبت والشعور بالحرمان يجعلان النفس تشتاق اللذة الحسية وتطلبها وتمارسها حتى الإفراط، فإذا فعلت ذلك إنقلبت اللذة الى ألم فتحدث عندئذ دورة مرعبة قوامها مزيد من الحرمان يشتاق الى مزيد من اللذة التي تعطي ردة فعل معاكسة مزيدا من الألم. ولذا كبت القوة الشهوانية مضر وشريير ولكن عندما نقتنعها أن خيرها العام هو في الاعتدال في تذوق الملذات الحسية ونطور اشتياقها عبر الصقل من اشتياق للملذات الحسية المتغيرة والمنقلبة الى أضرارها الى اشتياق للملذات التي لها طابع الثبوت والاستقرار وهي بالطبع ملذات عقلية يأتي الجمال على رأس هرمها عندها تعرف القوة الشهوانية أن تحليها بفضيلة العفة خير لها وأكثر نفعاً.

تانيا: والإختيار الذاتي بالإنقياد الى قوة العاطفة كيف يكون؟

سليمان: عندما تدرك القوة الشهوانية بأن الملذات الحسية متغيرة وتفرض أضرارها تمتلك فضيلة العفة وتنهد تلقائيا لإشتياق ملذات أعلى كالشجاعة والكرم والمروءة. عندها تنتقل من فهمها للإنسان بأنه مخلوق فردي لا يهتم إلا بلذات المأكل والمشرب والمنكح والملكية الى كونه مخلوقاً

اجتماعيا يربط سعادته بسعادة الآخرين وعزّه بعزّهم في فهم مقولة التناغم الاجتماعي بين الأفراد ووضع كل فرد في مكانه المناسب حسب إمكانياته الفطرية والإكتسابية فيسعد ويقوى في الكل ويسعد الكل ويقوى به. والقوة العاطفية بدورها بدل أن تنحدر الى القوة الشهوانية وتزيد من إضطراب هياجها بما تولده من مشاعر وأحاسيس وتخيلات حسية اذا بها تفهم أن سعادتها تكمن في حب الأشياء الجميلة التي تنتج عن العدالة سواء حب الأجسام الجميلة التي ينتج جمالها عن تناغم الأعضاء وتناسقها أو حب المجتمعات الجميلة التي ينتج جمالها عن تناغم أفرادها وتناسق طبقاتها. وهذا يقود حتما الى حب المثل الأعلى للجمال الذي هو الكمال المطلق، الحقيقة المطلقة حيث العدالة المطلقة

حسام: أستنتج من كلامك أنك تعتقد أن السعادة والفضيلة والعدالة تكتسب بالمعرفة دون أن تبدي أي إهتمام بالوسائل التربوية والمناهج العملية والتجريبية.

سليمان: المعرفة في حقيقتها الصادقة علم وعمل وليست علما فقط لأن العلم الذي لا يمارسه صاحبه عمليا يكون في عقل صاحبه ظنا وتخمينا وليس علما يقينيا فلو وصل العلم الى مرتبة اليقين لتجسد عملا حسب الطبيعة دون تكليف للنفس أو إكراه للقيام به. حسام: أفهم من ذلك أن العلم اليقيني هو معرفة تكون دائما حسب الطبيعة.

سليمان: هذا شيء مؤكد لأن قوانن العقل المفرزة في جوهر النفس منذ الأزل هي نفسها قوانين الطبيعة التي تضبط حركة الموجودات في عالم الكون والفساد أي في عمليتي التحلل والتركيب.

حسام: إذن كل طبيعي عقلاني وكل وضعي لا عقلاني وكل طبيعي فاضل وسعيد وكل وضعي خسيس وتعييس؟

سليمان: يكون الوضعي فاضلا بقدر ما يحاكي الطبيعي ويتمثله ويغزل على منواله.

صونيا : وضح لنا كلامك بتشابيه وتمثيلات وصور

سليمان: سأعطي مثلا كلنا نعرفه ونستطيع التأكد من صحته في هذه

اللحظة بالذات. اذا قلنا صونيا سيدة جميلة على ماذا نكون قد اعتمدنا لإصدار هذا الحكم؟

حسام: بالطبع على عيني صونيا السوداوين وشفتيها اللتين صنعتها الطبيعة من دمقس وأرجوان، وقوامها الرشيق الذي يذكرني دائما بجبل صنين المطل على المدينة بزهو وكبرياء، ولون بشرتها الأبيض المشرب بالحمرة وشعرها الأسود المتمايل على كتفيها بغنج ودلال

تانيا: طبعا عليك أن تكتفي بهذا القدر من التشبيهات كي لا تتحدث عن طعم رضابها الذي من يرتشف منه عدة رشفات يفقد عقله ويصبح من صونيا كالظل من صاحبه

صونيا: لا تبالغوا وتذهبوا بعيدا فالمبالغات نوع من الجنون

سليمان: ولكن على ماذا قسنا عيني صونيا وشفتيها وقوامها وشعرها حتى استنتجنا بأن هذه الأشياء جميلة؟

حسام: طبعا على غيرها من العيون والشفاه والقامات التي نراها كل يوم في عالم الواقع أو على شاشات التلفزيون والسينما

سليمان: نحن في الواقع عندما رأينا آلاف العيون والثغور والقامات والنهود والجداول والأعناق استطعنا أن ندرك الكلي الموجود في الجزئيات والمجرد الموجود في الماديات فأصبح في نفسنا معنى كلي مجرد عن الجمال الجسدي أخذنا نطبقه على النماذج التي نراها فبقدر ما تكون تلك النماذج قريبة منه بقدر ما نقول إنها جميلة وبقدر ما تبتعد عنه بقدر ما نقول أنها بشعة

صونيا: هذا الكلام جيد معناه أن الجمال في أصله مأخوذ من عالم المحسوسات

سليمان: ولكن في عالم المحسوسات، التراب ممزوج بالذهب ووظيفة العقل فصل التراب عن الذهب. في عالم المحسوسات قبح الفوضى ممزوج بجمال التنظيم والتنسيق فعلينا أن نسحب الخيط الأبيض من الثوب الأسود لننسج من الخيطان البيض المجتمعة، المعنى الكلي المجرد الذي هو قانون العقل المنسجم مع قانون الطبيعة في كمالها لا في مزج ترابها بذهبها

صونيا: ولكنك قلت ومنذ لحظة أن الخيطان البيض المجتمعة تصنع المعنى الكلي.

سليمان: نحن لا نجمع الجزئيات فتصبح كلا هذا كلام أطفال بل نحن ندرك الوحدة في الكثرة وهذا شيء يختص به العقل البشري دون غيره. فالواحد فاضت الكثرة وهي مربوطة به ارتباط المعلولات بعلتها الأولى منه حسام: قرأت لأفلاطون في محاوراة مينون على لسانه مخاطبا سقراط. بأن الفضيلة هي الرغبة في الحصول على الأشياء الجميلة والقدرة على تحقيقها وبلوغها فهل يعني هذا الكلام بأنني إذا ما حاولت الحصول على صونيا وامتلاكها كشيء جميل أكون قد مارست الفضيلة؟

سليمان: كان مينون يقصد الحصول على المعنى الكلي للجمال أي على كمال الجمال ثم محاولة سحب ذلك الكمال الجمالي على المحسوسات الجزئية الموجودة. فإذا كنت قادرا على رؤية بعض كمال الجمال في صونيا عندها تصبح علاقتك بها عقلانية فاضلة مجردة مما علق بالنفس الحسية من عواطف وبالنفس الشهوانية من غرائز تانيا: أهذا هو الحب الأفلاطوني الذي تكلم عنه الشعراء والمجانين والعاجزون جنسيا؟

سليمان: بل هذا الحب في معناه الكلي المجرد من أي شهوة أو منفعة أو تغير أو فناء لأنه ينتمي الى النفس العاقلة فيصبح بسيطا ببساطتها روحانيا بروحانيتها خالدا بخلودها وهذا النوع من الحب هو في الحقيقة حب الإنسان لله وقد ينسحب على بعض الناس المميزين تمثلا لا حقيقة حسام: ولكني أبيع كل الحب الأفلاطوني في سوق المزاد من أجل شفتين تلهثان بنبض الحياة

سليمان: أي سخف ظريف هذا.. فالأشياء تزداد حياة إذا ما إزدادت عقلا وإلا لماذا لا ترتشف شفتي غزاة طالما أن كل الشعراء يشبهون خبلا الحبيبة بالغزاة

حسام: ولكن هناك من يمارس الجنس مع الحيوانات سليمان: يفعل ذلك بالقوة الشهوانية في نفسه وسرعان ما توبخه نفسه العاقلة بل تؤدبه شرّ تأديب لأن النفس العاقلة تعتبر ذلك إهانة لها

تانيا: ولماذا تعتبر ذلك إهانة لها؟

سليمان: لأن كل عمل مشترك بين اثنين إذا لم يكن نتيجة إختيارهما الحرّ بإرادة غير مكرهة ولا مجبرة أعتبر هذا تعديا من قبل القوي على الضعيف. والتعدي ظلم والظلم شرّ والشرّ قبح والقبح فوضى وعودة الى كثافة الهيولى الأولى التي ليس لها شكل ولا لون ولا طعم ولا رائحة أي وجود ليس موجودا بالفعل

حسام: ولماذا غضبت كل هذا الغضب واستطردت كل هذا الإستطراد؟ سليمان: ألا تعرف أن الحرية هي نواة النفس العاقلة والحرية معناها أن تكون النفس سيدها. فالحرية هي أساس العقل والأخلاق وهي بالتالي أولى الفضائل بل رأس هرم الفضائل ومن يتنازل عنها يعتبر صفرا من الفضيلة حتى لو تزهد وتصوف متقشفا مصليا صائما بتولا؟

صونيا: ولكن إفلاطون كان يقول بأن الخير هو رأس هرم الفضائل سليمان: برأيي إن الحرية هي رأس هرم الفضائل لأنه إذا سقطت الحرية سقطت الإرادة وبطل الإختيار وعندها تصبح حركة الإنسان حركة جبرية وتسقط عند ذلك الأخلاق ويسقط مبدأ العقاب والثواب بل أقول أكثر من ذلك إذا سقطت الحرية سقط العقل برمته وغدا الإنسان حيوانا أعجم أكثر حيوانات الغابة متفوقة عليه سواء بجمال شكلها الخارجي أو بسلامة الغريزة وقوتها

حسام: ولكن من قال لك إن حركة الإنسان ليست جبرية مستمدة من وقائع كيميائية في تركيب عناصر البدن تقود النفس الى تصرفات منسجمة مع تلك الوقائع الكيميائية. هذا على الأقل ما يقوله بعض الأطباء في أميركا في دفاعهم عن اللواطيين والسحاقيين والمدمنين والمهووسيين

سليمان: العمل يا صديقي ليس إلا التعبير الخارجي عن النشاط الداخلي للمعرفة. والمعرفة إنتاج إنساني محض لأنه الوحيد الذي يملك نفسا عاقلة. فإذا قلنا وقائع كيميائية فالحيوان يشارك الإنسان في هذه الوقائع، فهل يشاركه في عمله الواعي الهادف؟ دعك من هذه الترهات

حسام: كلامك يدل أنك لا تملك أي حس حي بالواقع. كأنك تعيش خارج صيرورة الزمن. بصراحة إنك تضحكني بتعريفاتك السخيفة في مثالياتها.

العمل هو التعبير عن نشاط المعرفة الداخلي.

العمل الواعي الهادف. وكان كل الذين يعملون يعبرون عن نشاط معرفة داخلي ويصوبون عملهم باتجاه أهداف الحقيقة والعدالة والخير العام. ألم تشاهد أفلام شارلي شابلن الصامتة. لقد تنبأ الرجل في زمن مبكر بأن العمل سيغدو ميكانيكيا لا يتجاوز حركة اليدين والرجلين لا شأن للمعرفة به ولا للوعي الهادف

تانيا: هذا كلام صحيح هناك أناس بلهاء استطاعوا أن يتدربوا على عمل يدوي صغير ويتقنوه فأصبحوا ماهرين يجنون أموالا طائلة لا يحلم بمثلها مؤلف مسرحي ولا كاتب أبحاث

سليمان: حاجة الإقتصاد الإستهلاكي الرأسمالي الى شغيلة ماهرين يتقنون عملا جزئيا بسيطا لا يتطلب تحليلا فكريا واستنتاجا منطقيًا هذا أمر واقع. ولكن من يظن أن العامل الذي يقوم بهذا عمل ويربح أموالا تخوله الإنخراط في إقتصاد الإستهلاك إنسان سعيد، فهذا ما لا أعتقده أبدا

تانيا: ولماذا تريد أن تشكك في سعادة الآخرين؟

سليمان: لأن الحركة الميكانيكية الفارغة من أي هدف هي مصدر عذاب لصاحبها وليست مصدر سعادة. أليس هذا ما حاول شابلن إظهاره في أفلامه الصامتة

تانيا: ولكن هذا الإنسان يربح مالا يخوله أن يشتري بيتا وسيارة ويأكل من المطاعم ويشارك في السهرات الصاخبة

سليمان: ولكن الحركة الميكانيكية الفارغة التي ربط إليها إنغرزت في أعماقه حتى أصبحت جوهرًا ثابتًا في داخل ذاته فأصبحت حياته برمتها حركة ميكانيكية فارغة. وبهذا يكون قد تنازل عن عقله وأسقطه سهوا. ومن يتنازل عن عقله يتنازل عن هويته الإنسانية. العمل أيها السادة إذا لم يكن واعيا وهادفا كان مصدر ألم لصاحبه وليس مصدر فرح. وسعادة بل كان عملا لا أخلاقيا حتى ولو أعطى ثمرات إيجابية

تانيا: لم يعد عندي شك أنك رجل مزعج. كأنك تحرضنا على أنفسنا وتهز أنماط عيشنا وأنماط تفكيرنا المألوفة بغية إسقاطها على رؤوسنا

صونيا: تعالوا نصف سليمان بالرجل المشاغب لا هو يرتاح ولا يترك

.الآخرين يرتاحون

سليمان:سامحك الله. كيف يكون مشاعبا من يقول إن الجمال تآلف وتناغم
وتحويل للكيان من كتلة مادية لها طول وعرض وعمق ووزن الى طاقة
نورانية الزمان طولها والمكان عرضها وانعتقت الى غير رجعة من
عبودية الجاذبية

.تانيا: إذن لقد خسرتك يا صديقي

صونيا: تعالوا نترحم على سليمان بهرق الخمر على قبر أفكاره ورشها
بالزهور. هيا فالمائدة تنتظرنا نحن أصحاب الكتل المادية التي لها طول
وعرض وعمق ولا نريد أن تتحول الى طاقة نورانية